النجمية (نور البحث هو أشعة ترمى على العدو ليلا لمعرفة أعماله — والقنابل النجمية هى التى عند فرقعتها تخرج منها مواد تشتعل فى الهواء كالنجوم للغرض السابق) لمنع تقدمنا حتى عدلنا عن هذه المفاجأة الليلية واستحالتها فعولنا على الهجوم فى الفجر معرضين نحن والعدو للامطار

وعند انبلاج الصباح كانت الامطار لم تزل هاطلة وكانت جثث قتلانا مبددة على نهر (تا كو) وغير ممكن حملها لاننا تحت أعين العدو مباشرة وقد صرنا فى حيرة شديدة فكان فكرنا مقسوما بين ضرب العدو والاعتناء بهؤلاء الجرحى والقتلى وفوق ذلك كانت احدى عشرة قطعة حربية من دونمة العدو ضمنها مدرعة (نوفيك) ظهرت بالقرب من (بينشانج) وابتدأت تطلق قنابلها على بيادتنا المتقدمة (تا كوشان) و(هسيا كوشان) من الخلف وكان لا يوجد أى ساتر لحمايتنا فكنا هدفا لنيران العدو من كل جهة الذى كان يقتل ويجرح فينا كيف شاء وهكذا صرنا فى يأس شديد ومع كل ذلك سترى قريبا كيف استولينا على تا كوشان

الفصل الثالث والعشرون

مهاجمة تا كوشان

كان دخان البارود المظلم والمطر كامواج بحر وهو فى مده وفوقنا الجبل الحاد جدا صاعدا ليناطح السماء لا يمكن حتى للقردة أن تتسلقه الا بصعوبة فكل هضبة نتسلقها نجد أخرى أصعب منها والنسر الروسى الخافق يهددنا فى

أعلى هذا الارتفاع الهائل وكانت جميع نيراننا مصوبة من كل الجهات الى موقع العدو فوق (تا كوشان) وكانت مدافع الروسيين الكبيرة تصلينا بالسنة حمراء من الامام ومراكبهم تقصم ظهورنا من الخلف ومع هذه الفرص الطبيعية وصفوف مدافعه القوية غير سهل الانهزام ولكن إذا نحن لم ننجح فى أخذ مواقعه نكون بدون قاعدة لمحاصرة بورت أرثور ولذا اضطررنا أن نهاجم العدو بسرعة مهما كلفنا ذلك

وقد مضى آلاينا تلك الليلة وصباحها فى الحالة السابقة وفى الساعة ٣ بعد ظهر اليوم الثانى حانت الفرصة لمهاجمة العدو لان مدافع حصارنا قهقهرت مراكب العدو نخلا ظهرنا وتوحدت جهة مقاومتنا الامام فامرنا قائدنا بما يأتى : « على الجناح الايسر أن يهاجم (تا كوشان) وبما أن آلايكم تابع للجناح المذكور فعليه أن يهاجم السفح الشمالى . » واستلمنا الاعلان الآتى من قائد الجناح الايسر « ان آلاينا سيبتدئ المهاجمة بدون التفات الى الخسائر وأتعشم ان آلايكم يشترك فى هذه المهاجمة التى سيكون لها شأن ويحتل معنا (تا كرشان) » ولما شاع ذلك ابتدأ الجناحان فى الزحف فى وقت واحد مهاجمين ملك الجحيم مع الانحدار الشديد الطبيعى بين صراخ وصياح الرجال وتمزيق وقصف المدافع وضوء السونكيات والسيوف وأثارة الغبار وجرى الدماء وتكسير المخ وتقطيع الامعاء وأعقب ذلك اختلاط الجيشين ومحاربتهما يدا بيد بالسلاح الابيض وكان تنشين المدافع الكبيرة اليابانية فى (شيكوانشان) و (ارلونجشان) مضبوطا ولذا كانت قنابلها تصل بالتمام الى قمة (تا كوشان) وكانت نيران الدانات الكروية والالغام تظهر خطوطا نارية طويلة متقاطعة

فى جميع الجهات وفى الحال هز صراخ (بانزاى) الهائل الجبل مرتفعا من أسفل ومن أعلى فى آن واحد ـ فما الذى حصل يا ترى ؟ واذا بعلم يخفق خلال غيوم الدخان المظلم ـ الا وهو علم شمسنا المشرقة العزيز . فقد نجح هجومنا وكان علمنا قد خفق فى أعلى التل ولما عرفنا أنه علمنا صرخنا فرحا و(تاكوشان) التى كانت لابسة حلة دخان رمادية صارت لنا فحينئذ صوبت جميع قلاع العدو نيرانها على موقعنا هذا الجديد بقنا بل كأنها القدور لها صفير فى الجو كصفير الآلات البخارية وكان خيل لنا أن الارض تهتز عند فرقعتها وكان موقعنا فى غاية الخطر فكاد أن لا نحفظ مواقعنا فاذا هجم العدو هجوما تعرضيا كما هو محقق كيف يمكن أن نقاومه ونحن على قمة جبل خطرة متعرضين لنيرانه من كل جانب

ومما يذكر أن جنديا كان يحرس ستة مدافع استولينا عليها من العدو فوق القمة أصيب بقنبلة فتطاير لحمه أربا فوق رؤوسنا . وان قنبلة اخرى وقعت فى وسط جماعة من الجنود فسحقت ستة وعشرين جنديا فى دقيقة واحدة وفتتت صخرة أيضا دفنت تحتها ثلاثة جنود أحياء فماتوا طبعا وأمثال ذلك كثير

ولما كانت (تاكوشان) مفتاح الخط الاصلى فى (بورت ارثور) هاجمنا العدو مرارا فردوا على أعقابهم خائبين وبعد أيام قلائل من احتلالنا (تاكوشان) أطلق كشاف روسى بندقيته على أحد الديدبانات الموجودين على قمة الجبل فى الفجر فهرول البلوك الثانى من آلاينا الى مكان الطلق فرأى قوة من الروسيين على بعد خمسة عشر قدما تحتهم متسلقين باسلحتهم قمة الجبل فاصلاهم

ناراً حامية فتقهقروا وخلفهم النيران فلم ينج أحد منهم وكان غرضهم أن يحتالوا فيشغلوا القوة الموجودة في هذه النقطة حتى يتسنى لقوة أخرى منهم كانت كامنة بالقرب لتهاجمنا من جهة أخرى وقد لاحظنا مرارا عناد الروسيين الشديد الذي كان محبوبا لدينا لانه كلما فقدوا جزءا من موقع ثبتوا حتى يؤخذ منهم أو يؤسروا ولحظنا أيضا أن ثباتهم كان لاطاعة ضباطهم اطاعة عمياء وهذا ينطبق على حالة العبيد والاشراف في القرون الوسطى وهي لم تزل الى الآن بين الضباط الروسية والجنود أما حالة الجنود اليابانية مع ضباطهم فبعكس ذلك ناشئة عن حب وغيرة وطنية وقد لاحظ ضابط امريكي كان مندوبا حربيا مع الجيش اليابانى فى منشوريا (ان أفضل مزية فى الجيش اليابانى هى الرابطة بين ضباطه وجنوده التى لا توجد مثلها فى جيش أى شعب آخر حتى ولا فى انكلترا وأمريكا الديموقراطيتين) ويمكن أن قوة جيشنا الحقيقية منشؤها هذه المزية الخصوصية ولكن شجاعة الروسيين عرض يستحق الاعجاب ونتيا . هذا وبينما هم عاضون بأنيابهم على (بورت ارثور) قلت مؤونتهم وذخيرتهم وذهبت أرواح عشرات الآلاف منهم وحالتهم المحزنة كانت كشعلة امام زوبعة هواء ومع كونهم فى هذه الحالة فقد استمروا فى مقاومتنا بعزيمة شديدة وهذا العمل هو نتيجة قوة خاصيتهم الروسية. والجملة الآتية من تعليماتهم العسكرية تشرح لك ذلك

« ان غار فخر الواقعة يكتسب بواسطة السونكى وصراخ الحرب ـ وعند فراغ ذخيرتك اضرب العدو بقبضة يدك واذا كسرت القبضة عض باسنانك »

نعم انهم كانوا عنيدين فى مقاومتهم وهجومهم الا أن حياتهم ثمينة عندهم وهاتان الخاصيتان متناقضتان والقاعدة المتبعة عندهم أن يعيش الانسان كحجر ولا يموت كجوهرة » عكس فكرة اليابانيين وهى « يموت الانسان بشرفه ولا يعيش بعار » وقد قال أحد الروسيين « ان لى زوجة عزيزة هى فى غاية المشغولية لاجلى ولقد قال ضباطنا ان الجنود اليابانية كتماثيل من الطفل ولكن وجدناهم بعكس ذلك كالشياطين فالافضل ان أتجو بحياتى لاجل زوجتى من أن أحارب وأموت اذ لو مت تحزن وتجن . وانه لمن الجنون أن نستمر فى القتال ونحن متحققون أن جيش اليابان سيفنينا لا محالة » وهذا هو الفرق بيننا وبينهم

ولقد استمرينا فى المدافعة عن (تاكوشان) رغماً عن الصعوبات العظيمة ولحسن الحظ لم تنجح كل محاولات العدو لردها اليه ثانياً يظهر أنهم تركوا كل فكرة بخصوص عمل أى هجومات تعرضية واتدأوا بالاشتغال بزيادة تقوية الاستحكامات داخل (بورت ارثور) معطلين أعمالنا بنيرانهم المتصلة من مدافعهم الثقيلة الموجودة فى تلاعيم العديدة وفى ذات نفسه كان قسمنا يستحكم فى (تاكوشان) فى الجانب المواجه للعدو جامعين مواد الحصار باتين سواتر للمدافع الكبيرة وباعثين كشافة الى الامام حاذقين للتحقق من مواقع العدو وحالة عراقيل سلوكهم ولينظروا كيف يمكن أن تؤثر نيران العدو على الطرق المعدة لسيرنا وبعد ما تمت جميع هذه التجهيزات والاستعلامات الخاصة بهجومنا تعين يوم ١٩ أغسطس للهجوم الاول العام وتعين الى قسمنا شرق (شيكوانشان) كغرضه الرئيسى (أعنى الهجوم عليه) ولما كانت

هذه الموقعة هى المنتظرة لختام المقدر على (بورت ارثور) لذلك كان يعتنى بكل شىء كثيراً وعمل بذلك خريطة

الفصل الرابع والعشرون

الترقى والوداع

قد تركنا اليابان ونحن عازمون على أن نصير ترابا تحت نعال جواد جلالة (الميكادو) قائلين هانحن واقفون مستعدون للموت وكانت قلوبنا غير صابرة ولكن الفرصة لم تحن الى الآن وقد كنت عازما أن أموت على (تا كوشان) ولكن لم أزل مترددا فى الخلف باقيا من عدد كبير من أصحابى وانه لمن المحقق أن أحوز الشرف والامتياز فى المهاجمة العمومية بتقديم نفسى الصغيرة الى وطنى المحبوب وبهذه الرغبة وهذه العزيمة انتظرت الموقعة

وانى ترقيت الى رتبة الملازم أول فى أوائل أغسطس ولكن وصلتنى الاخبار متأخرة وقد نادانى الميرالاى (أوكى) أمامه وقال لى برزانة تامة « انى أهنئك بترقيتك وقد حملت أعلام الآلاى من الابتداء وأنت الآن أعفيت من هذه الخدمة ولكن زد فى قوة عزيمتك فقد عين الغد للهجوم العام وانى أكلت ونمت معك مدة طويلة وانى حزين لفراقك ولكن أقول لك الى الملتقى الآن »

نعم انى أكلت ونمت مع قائدى العزيز من أول مجيئنا وحاربت بجانبه فى المعسكر كنا معرضين المطر والندى وكان الميرالاى يقاسمنى حصيرته